المبحث الحادي عشر
التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات

من الواجبات المهمة التي تكون بين الدعاة التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات، على مستوى الأخطاء تجاه الدعاة مع بعضهم، أو على مستوى الأخطاء والاجتهادات الدعوية، أو على مستوى المؤسسات.

ولبيان هذا الأمر نتطرق للنقاط التالية:

أولاً: مفهوم التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات:

التَغَافَر بين الدعاة: أن يقول الداعية لأخيه الداعية المخطئ رب اغفر لي ولأخي.

أما التغافل بين الدعاة: هو: إعراض الداعية عن قول أو فعل صدر من أخيه الداعية وهو متيقن غرضه السيء منه، ومقابلة ذلك بالتحلم والتسامح في التعامل معه.

فالمتغافل من الدعاة: من يتعمد الغفلة عن أخطاء وعيوب إخوانه الدعاة، مع أنه مدركٌ لها وعالمٌ بها، وكذلك يتغافل عن ما يقع أمامه من المواقف المحرجة للبعض، فمن حسن الخلق التغافل عن ذلك وعدم إشعار صاحب الموقف بأنه شوهد أو شُعِر به[(١)].

أما التعاذر بين الدعاة فهو: هو أن يلتمس الداعية لأخي الداعية العذر في فعل أو قول جانب فيه الصواب سواء في حق إخوانه الدعاة أو في حق دعوته.

وأما إقالة عثرات فالمقصود به: غض الطرف عن أخطاء المخطئين من الدعاة ما دام طريقا لاستصلاحهم.

---

(١) التغافر والتغافل سياج الأخوة د. محمد أبو غدير– مقال منشور على نافذة مصر بتصرف يسير.

○ ثانياً: أدلة عامة في التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات:

هناك أدلة عامة تدل على فضل وأهمية التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

فقوله: «﴿وَلْيَعْفُوا﴾ أي عن زللهم بأن يمحوه ويغطوه بما يسلبونه عليه من أستار الحلم حتى لا يبقى له أثر.

ولما كان المحو لا ينفي التذكر قال: ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ أي: يعرضوا عنه أصلاً ورأساً، فلا يخطروه لهم على بال ليثمر ذلك إحسان، ومنه الصفوح وهو الكريم»[١].

وقد بين الله تعالى أنه يتولى إثابة المتسامحين ومنحهم الأجر وهو الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

وبين القرآن أننا لا بد من أن نتغافر ونتغافل ونتعاذر ونقيل العثرات عن أخطاء إخواننا الدعاة لأن المسلم يوزن بسيئاته وحسناته معاً، فأيهما غلب كان الحكم له، كما قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وقال النبي ﷺ: (ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً)[٢]، قال النووي: «فيه وجهان: أحدهما أنه على ظاهره وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه، والثاني أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك»[٣].

---

(١) نظم الدرر ٥/ ٢٤٠٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب العفو والتواضع (٢٥٨٨).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ١٤١.

ثالثاً: الأدلة الخاصة في التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات بين الدعاة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال ﷺ: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)[١].

«قال الشافعي في تفسير ذوي الهيئة: هو من لم يظهر منه ذنبه. وقال ابن الملك: الهيئة الحالة التي يكون عليها الإنسان من الأخلاق المرضية. وقال القاضي: المراد بذوي الهيئات أصحاب المروءات والخصال الحميدة، وقيل: ذوو الوجوه بين الناس، وقيل: والمعني بهم الأشراف، وقيل: أهل الصلاح والورع»[٢].

قال ابن القيم: «وإقالة ذوي الهيئات باب من أبواب محاسن الشريعة الكاملة وسياستها للعالم، وانتظامها لمصالح العباد في المعاش والمعاد»[٣].

وأولى وأحرى من يدخل في ذوي الهيئات، العلماء، وطلبة العلم، وأهل التقوى والصلاح، فليحذر أولئك الذين سخَّروا أقلامهم وألسنتهم، بتتبعهم عورات، وزلاَّت وهفوات العلماء، وطلبة العلم؛ المشهود لهم بالتمسك بالسنة، والتقوى والصلاح، والزهد في الدنيا.

وقد نهانا النبي ﷺ عن تتبع العورات، فعن عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: (يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته)[٤].

---

(١) مسند أحمد ٤٢/ ٣٠٠ (٢٥٤٧٤)، قال شعيب الأرناؤوط: حديث جيد بطرقه وشواهده.

(٢) مرقاة المفاتيح ٦/ ٢٣٤٣.

(٣) بدائع الفوائد٣/ ١٣٩.

(٤) مسند أحمد٣٣/ ٢٠ (١٩٧٧٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، وسنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب الغيبة (٤٨٨٠) وقال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٤٠).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **(ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)**(١).

قال النووي: «وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد»(٢).

○ رابعاً: قصة موسى وهارون ودلالتها على التغافر والتعاذر وإقالة العثرات:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠، ١٥١]، وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٢ - ٩٤].

وهذه القصة تدل على أهمية التماس العذر للدعاة في مواقفهم الدعوية وأن يدعو كل داعية لأخيه بالمغفرة، على التقصي أو الإساءة، وللأخ أن يعاتب أخاه المسلم، ولكن بعيدا عن سمع المتربصين بالإسلام، وشماتتهم.

قال الجشمي: «تدل الآية على أن الأمر بالمعروف قد يسقط في حال الخوف على النفس، وفي الحال الذي يعلم أنه لا ينفع»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه ص٢٦٤.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ١٣٥.

(٣) التهذيب في التفسير للجشمي ٤/ ٢٧٢٨.

وقال الزمخشري: «لما اعتذر إليه أخوه، وذكر له شماتة الأعداء قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾ [الأعراف: ١٥١]. ليرضي أخاه، ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه، فلا تتم لهم شماتتهم، واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه، ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة، وطلب أن لا يتفرقا عن رحمته، ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة»(١).

وهذا يدل على ندم موسى عليه السلام على ما استعجل من صنعه بأخيه قبل أن يعلم براءته، مما ظنه فيه من التقصير.

وموقف هارون كذلك أنه لم يقابل موسى بمثل ما قابله به بل التمس العذر لأخيه في غيرته على الدين، وبين له السبب ولم يعاتبه فيما صدر منه من أذية قبل معرفة السبب.

○ خامساً: التطبيق العلمي للنبي ﷺ في التغافر وإقالة العثرات:

وبهذا المنهج عامل النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه حينما كتب لكفار قريش عن تحرك جيش المسلمين لغزوهم، فقال رسول الله ﷺ: **(يا حاطب ما هذا؟)**، قال: يا رسول الله، لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفراً ولا ارتداداً، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **(لقد صدقكم)**، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال ﷺ: **(إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)**(٢).

---

(١) الكشاف للزمخشري ٢/ ١٦٢، وانظر: محاسن التأويل ٥/ ١٨٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس (٣٠٠٧)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم (٢٤٩٤).

وعن هذه الواقعة قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قواعد الشرع والحكمة أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثيراً ظاهراً، فإنه يحتمل منه ما لا يحتمل لغيره، ويُعْفَى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل، فإنه لا يحتمل أدنى خبث.. فدل ذلك على أن مقتضى عقوبة حاطب قائم لكن منع من ترتيب أثره عليه لما له من المشهد العظيم، فوقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ما له من الحسنات»(١).

مع التنبيه إلى أن: «إقالة العثرة ليس إقراراً للباطل، ولكنها إنقاذٌ للواقع فيها، فحق لمن غلط أو زل أن يسمع كلمة صائبة، وأن يستضيء بشمعة أمل، من أجل أن يرجع إلى الجادة، ويسير مع الأخيار من الصحاب»(٢).

إن إقالة عثرة الدعاة، والعفو عن الخطأ والزلة الواقع منهم، ليس إقراراً لخطئه، ولا تهوينا من زلته، ولكنها -مع الإنكار عليهم ومناصحتهم- إنقاذ لهم بالأخذ بأيدهم ليستمروا في سيرهم إلى الله، وعطائهم لدين الله.

سادساً: السلف والتغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات:

ورد عن السلف -رحمهم الله- تطبيقٌ عملي لهذا الأمر، ومن ذلك:

ذكر ابن الجوزي عن ميمون بن مهران أنه قال: سمعت ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «ما بلغني عن أخ مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به، هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة»(٣).

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٧٦.
(٢) نظرات في الدعوة ومسالك الدعاة للشيخ صالح بن حميد، خطبة منشورة على موقع إسلام ويب.
(٣) حلية الأولياء ٤/ ٨٥.

فقد ورد أن صديقاً حدث له ما يغضبه من ابن السماك فقال له: الميعاد بيني وبينك غداً نتعاتب، فرد عليه ابن السماك رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «بل بيني وبينك غداً نتغافر»[(١)].

وعن حميد الطويل عن أبي قلابة قال: «إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك: لعل لأخي عذراً لا أعلمه»[(٢)].

وعن ابن المديني قال: سمعت سفيان يقول: كان ابن عياش يقع في عمر بن ذر ويشتمه، فلقيه عمر فقال: «يا هذا لا تفرط في شتمنا، وأبق للصلح موضعاً، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه»[(٣)].

حفظُ مقادير العلماء والدعاة واجبٌ شرعيٌّ، ولا يجوز أن تسقط مكانتَهم أو تهدر محامدَهم لزلةٍ عابرةٍ أو فلتةٍ عارضة، فالعبرةُ بكثرة المحاسن، قال الحافظ ابن رجب: «والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه»[(٤)].

وقال الفضيل بن عياض: «لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صلاة ولا صيام، وإنما أدرك بسخاء النفس وسلامة الصدر والنصح للأمة»[(٥)].

وعن الزهري زهري فقال: حدَّثني عروة أنَّ المسور بن مخرمة أخبره أنه وفد على معاوية، فقضى حاجته، ثم خلا به، فقال: يا مسور! ما فعل طعنك على الأئمة؟ قال: دعنا من هذا وأحسن. قال: لا والله! لتكلِّمني بذات نفسك بالذي تعيب عليَّ. قال مسور: فلم أترك شيئاً أعيبُه عليه إلا بيَّنتُ له. فقال: لا أبرأ من الذنب. فهل تعُدُّ لنا يا

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٦/ ٣٢٤.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٨٥.
(٣) حلية الأولياء ٥/ ١١٣.
(٤) قواعد ابن رجب ص٢.
(٥) شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٤٣٩.

مسور ما نلي من الإصلاح في أمر العامَّة، فإنَّ الحسنة بعشرة أمثالها، أم تعدُّ الذنوب وتترك المحاسن؟ قال: ما تُذكر إلا الذنوب. قال معاوية: فإنَّا نعترف لله بكل ذنب أذنبناه؛ فهل لك يا مسور ذنوبٌ في خاصتك تخشى أن تهلك إن لم تغفر؟ قال: نعم. قال: فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحقَّ مني، فوالله ما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكن والله لا أُخيَّر بين أمرين، بين الله وبين غيره، إلا اخترتُ الله على ما سواه، وإني على دين يُقبَل فيه العمل ويُجزَى فيه بالحسنات، ويجزَى فيه بالذنوب، إلا أن يعفو الله عنها. قال: فخصمني. قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلَّى عليه[١].

التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات عن الأخطاء بين الدعاة ضرورة لسلامة الصدر ونقاء القلب، امتلاؤه إيماناً ويقيناً وتقوى ومحبة ورحمة، وخُلوُّه من كل غلٍّ وحسد وحقد على الدعاة.

○ سابعاً: خطورة عدم التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات بين الدعاة:

وقال الشيخ السعدي: «وتتبُّعُ العثرات وإشاعةُ الزلات وكتمانُ الصالحات؛ آفةٌ خطيرةٌ تدل على ضعف الديانة وقلة المروءة»[٢].

وقد استعاذ النبي ﷺ من: (خليل ماكر عينه تراني وقلبه يرعاني، إذا رأى حسنة دفنها، وإذا رأى سيئة أذاعها)[٣].

والإمام الشعبي يقول: «لو أصبت تسعاً وتسعين، وأخطأت واحدة، لأخذوا الواحدة وتركوا التسع والتسعين»[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ١٥١. وصلى عليه أي دعا له.

(٢) انظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار ص (١٠١-١٠٢).

(٣) الدعاء للطبراني رقم (١٣٣٩)، وقال الألباني: إسناده جيد، السلسلة الصحيحة رقم (٣١٣٧).

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٣٢١-٣٢٠.

وعندما تتبّع الحميدي بعض أخطاء الشافعي عتب عليه أحمد بن حنبل قائلاً: «تمرُّ مائة مسألة يخطئ خمساً أو عشراً، اترك ما أخطأ وخذ ما أصاب»[١].

«إنَّ تربيةَ الشباب على التخوّض في أعراضِ الدعاةِ وتتبُّعِ زلاتهم، من الآفات التي أثقلت المسيرةَ الدعوية وأوجدت بيئة خصبة للتعانف اللفظي والتفرق والتنازع لأي سبب عارض»[٢].

والداعية صاحبُ الدين والعقل والمروءة الذي تصلح صحبته، هو الداعيةَ الناصح لإخوانه، الذي ينأى بنفسه عن الجدلِ ويتورع عن القيل والقال ويحبس لسانه عن فضول المنازعات وتتبع العثرات.

وعدم التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات يؤدي إلى أمرين خطيرين:

١- الشماتة بالدعاة ودعوتهم، فيكون التنافر والتنابز مجلبة لازدرائهم؛ حيث يجد المتربصون بالدعوة فرصة عظيمة للنيل من أصحابها والشماتة بهم، كما قال هارون لموسى عليه السلام حين أخذ برأسه: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

٢- ابتعاد المدعوين عن الدعوة، والنفرة من أصحابها لعدم اتفاقهم في الدعوة أو عدم مراعاة آداب الخلاف.

○ ثامناً: كل ابن آدم خطاء فلابد من التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات:

لقد قرر النبي ﷺ ذلك بقوله: (كل بني آدم خطاءٌ، وخير الخطائين التوابون)[٣].

---

(١) طبقات الشافعيين لابن كثير ١/ ٤٠.

(٢) مَعالِمٌ في طريق الائتلاف- أحمد بن عبدالرحمن الصويان- مقال منشور في مجلة البيان عدد ٣١١.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (٣٢٥١) وحسنة الألباني.

فالخطأ صفة ملازمة للبشر لا ينجو منه أحد إلا من عصمه الله من الأنبياء والمرسلين، ولقد صدر الخطأ عن الصحابة الكرام ﷺ، وكذا العلماء والأولياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس من شرط أولياء الله المتقين ترك الصغائر مطلقاً، بل ليس من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه توبة»[(١)].

وإذا كان لا عصمة لبشر فمن مصلحة الجميع أن يتغافل ويتغافر بعضهم عن ذنوب بعض حتى تتصافى القلوب وتطيب النفوس وتبقى الأخوة الصادقة على قلب رجل واحد لتقيم شرائع الإسلام ومناهجه.

فطالما أن كل واحد من الدعاة قد يقع في الخطأ، فالكل يحتاج إلى من يعينه ويأخذ بيده، وكثيراً ما يقع الخطأ من غير قصد أو عمد، وحين نقيل العثرة نكون عونا لإخواننا على تجاوزها والتوبة منها. ورحم الله ذاك الرجل من السلف فقد وقع صديق له في زلة ومعصية، فظل هذا الرجل معه ولم يقطعه، فعاتبه الناس على ذلك، وقالوا له: ألا تقطعه وتهجره وقد فعل ما فعل؟ فقال: «إنه أحوج ما يكون لي الآن، إنه وقع في عثرته وأنا آخذ بيده وأتلطف له في المعاتبة وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه»[(٢)].

وقيل: «إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى، وقيل: لا تحدثوا الناس بزلة العالم فإن العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته»[(٣)].

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٦٦.
(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٤.
(٣) إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٤ باختصار.

تاسعاً: من فوائد التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات:

١- الستر على الدعاة:

التغافر والتغافل وسيلة فعالة لستر العيوب والأخطاء، وغلق أبواب الإشاعات وحماية أعراض الدعاة، قال النبي ﷺ: **(ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)**(١).

«قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمرُ بالمعروف: اجتهد أن تسترُ العُصَاةَ، فإنَّ ظهورَ معاصيهم عيبٌ في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب»(٢).

٢- حفظا للعلم والدعوة:

فلو أننا أسقطنا العالم أو الداعية بسبب خطأ وقع فيه، هل سيبقى أحدٌ من العلماء أو الدعاة في القديم أو الحديث؟ يقول ابن القيم: «لو كان كل من أخطأ أو غلط تُرك جملة وأُهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات والحكم، وتعطلت معالمها»(٣).

ومن أعلى المقامات في ذلك ما روي عن الإمام النووي قوله: «فقد كان بعض المتقدمين إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء وقال: اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه مني(٤)، وهذا ليستطيع أن يقبل منه العلم ولا يجده على هيئة تنفره من شيخه.

٣- تحول العداوة إلى صداقة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) جامع العلوم والحكم ٣/ ١٠١٢.

(٣) مدارك السالكين ٢/ ٣٩.

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن ص٣٨.

إنّ مجتمع الدعاة لا ينبغي أن تقوم فيه المعاملة بين أفراده على المؤاخذة والمحاسبة والانتصار للذات، والانتصاف لها في كل صغيرة وكبيرة، وإنما ينبغي أن تقوم فيه المعاملة على المسامحة والتغاضي والصفح والصبر، وهذا ما دعت إليه نصوص الشرع.

٤- التآلف:

إن التغافر والتغافل من أهم الحصون الواقية للعلاقة بين الدعاة من التصدع، فبها نحافظ على ألفة القلوب التي هي من أجلّ نعم الله تبارك وتعالى على عباده، قال تعالى ممتناً على عباده مخاطباً: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

إن التغافر بين الدعاة يُظلل الدعوة بظلال الإيمان، ويحل المجتمع الدعوي السلام، ويملأ قلوب الدعاة بالوئام، ويحقق بين القلوب التآلف والانسجام، ويمنح الدعاة صحة نفسية، ويجنبهم الاضطرابات الشخصية والنفسية، ويكفي الدعوة شر الصراعات والأحقاد.

○ عاشراً: وسائل إشاعة التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات بين الدعاة:

١- أن يكون كلاً من الدعاة قدوة للآخر في التغافر، ولا ينتظر مغفرة إخوانه وهو لا يغفر لهم.

٢- مدارسة الآيات والأحاديث التي تدعو إلى التغافر، وسيرة السلف كذلك.

٣- تدريب النفس ومراقبتها على العفو والتسامح والتحلي بالصبر.

المبحث الثاني عشر
التطاوع

من الأمور التي تجب أن تكون بين الدعاة إشاعةُ روح التطاوع في العمل الدعوي، «والمطاوعة في حقيقتها هي: استعداد من كل طرف للتنازل للطرف الآخر، إذا وقع اختلاف على أمر ما، وليس المقصود بهذا التنازل الرجوع عن حق صريح واضح، وإنما هو لين جانب حينما يكون الاختلاف بين الحسن والأحسن، أو إرجاء المناظرة في الأمر المختلف فيه؛ إبقاء على المودة، وإيثاراً لصفاء القلب، فكل منهما طيّع في يد أخيه، يتنازل هذا تارة، ويتنازل ذاك أخرى»(١).

ولبيان هذا الأمر نتعرض للنقاط التالية:

◆ أولاً: الأمر بالتطاوع في السنة:

وقد ورد الأمر بالتطاوع في السنة النبوية في موضعين:

الموضع الأول: وصية النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري:

فقد ورد أن النبي ﷺ، قال لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل حينما بعثهما إلى اليمن: **(تطاوعا ولا تختلفا)**(٢).

قال ابن حجر: «أمرهما أن يكونا شريكين.. أي: توافقا في الحكم ولا تختلفا لأن ذلك يؤدي إلى اختلاف أتباعكما فيفضي إلى العداوة ثم المحاربة والمرجع في الاختلاف إلى ما جاء في الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى

(١) قيمة التطاوع وعدم الاعتداد بالرأي، أم كلثوم أنوار، مقال منشور على موقع مغرس.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه (٣٠٣٨)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير، وترك التنفير (١٧٣٣).

ﭐﻟﻠﱠﻪِ وَﭐﻟﺮﱠﺳُﻮﻝِ﴾ [النساء: ٥٩]»[١]، أي: **(تحابا وليطع كل منكما الآخر)**[٢].

وبوب الإمام البخاري لهذا الحديث العظيم تبويباً يحوي شرحاً جامعاً ونصيحة ذهبية للأمة: فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فقوله: (تطاوعا ولا تختلفا) وقيل: «ليلن كل منكما جانبه لأخيه، وليخفض كل منكما جناحه لأخيه»[٣].

وكان بإمكانه أن يقول: (تطاوعا)، ولا يذكر و **(لا تختلفا)**، ولكن ذكرهما « لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء»[٤].

الموضع الثاني: وصية النبي ﷺ أبا عبيدة وعمرو بن العاص:

ولما بعث ﷺ جيش ذات السلاسل استعمل أبا عبيدة على المهاجرين، وعَمْرَو بن العاص على الأعراب، وقال لهما: **(تطاوعا)**، وكانوا يؤمرون أن يغيروا على بكر، فانطلق عمرو، فأغار على قضاعة لأن بكرا أخواله. فانطلق المغيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة وقال له: «إن رسول الله ﷺ استعملك علينا، وإن ابن فلان -يعني عمرَو بن العاص- قد ارتبع أمرَ القوم وليس لك معه أمر» قال أبو عبيدة: «إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاوع، فأنا أطيع رسول الله ﷺ، وإن عصاه عمرٌو»[٥].

«فلم يحِد أبو عبيدة عن وصية رسول الله، ولم يشتغل بتسوية الخلافات مع عمرو،

(١) فتح الباري ١٣/ ١٦٢.
(٢) تعليق مصطفى البغا على البخاري (٣٠٣٨).
(٣) تعليق الشيخ حسن أبو الأشبال على شرح صحيح مسلم ١٦/ ٨٥ نسخة مفرغة.
(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/ ٤١.
(٥) مسند أحمد في مسنده ٣/ ٢٢٧ (١٦٩٨).

وذلك أن المقصود من البَعْثين تحقيقُ مصالح الإسلام، وما كان هذا شأنه فليس مناخاً صالحاً للخلافات، حفاظا على سمعة الدعوة وتمهيداً لاستيطانها قلوبَ الجماهير، فلا غرو إذاً أنْ كانت الوصية النبوية بالائتلاف والتطاوع أعظمَ ما يحتاجه العامل لدين الله»[(١)].

فهذه وصية رسول الله ﷺ لكل الدعاة.

◆ ثانياً: أهمية التطاوع بين الدعاة:

«التطاوعُ يَدلُّ على صفاءِ النفس وقوةِ الشخصية وسِعَةِ الأفق، ولا يتحقق إلا بقدر كبير من السماحة والاستعداد للتوافق»[(٢)].

«والتطاوع يثبت المحبة، والتعصب للمواقف والآراء يرفعها ويشتِّت شمل الأخوة ويشحن النفوس بالبغضاء، قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وفي الآية إشارة إلى أن عدم التنازع يَلزَم لتحقيقه الصبر على قبول ما لا يراه المرء راجحاً أو صواباً وهذا من أسرار ختم الآية بالوصية بالصبر وقد أشار إلى هذا المعنى عدد من المفسرين كالقاسمي والطاهر بن عاشور عند تفسير هذه الآية.

وكلما كان المسلمون أقرب إلى قطف الثمرة كانوا أحوج إلى تقديم مصلحة الأمة على الأهواء الشخصية، فلا بد أن يتنازل أحد الأطراف المختلفة؛ ليطاوع الطرف الآخر، مؤثرا رضا الله، وجلب الخير العميم، ودفع الشر العظيم»[(٣)].

---

(١) الأدب النبوي ١/ ١٠٥.

(٢) مَعالِمٌ في طريق الائتلاف، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، مقال منشور في مجلة البيان عدد ٣١١.

(٣) قيمة التطاوع وعدم الاعتداد بالرأي أم كلثوم أنوار، مقال منشور على موقع مغرس.

قال الإمام النووي: «غالِب المصالح لا يتمّ إلا بالاتفاق، ومتي حصل الاختلاف فات»[(١)].

فلا بد أن يكون أنَّ في كل مؤسسة أو عمل دعوي فئاماً من ذوي الحلم والسماحة ولين الجانب، ممَّن يألف ويؤلف؛ وهؤلاء هم الجسر الحقيقي للتطاوع، يبنون بأخلاقهم العالية بساط التوافق والتواصل البناء، وقد وصفهم النبي ﷺ بقوله: **(المؤمنون هينون لينون، مثل الجمل الأنف، إن قيد انقاد، وإن سيق انساق، وإن أنخته على صخرة استناخ)**[(٢)].

◆ ثالثاً: تنبيه حول التطاوع بين الدعاة:

«التطاوع قوة وألفة والتخالف ضعف ونفرة. فما دام الأمر في معروفٍ فليتطاوع الدعاة، فإن رأى غير ما رأى تباحثاً في وجوه الاختلاف، ومحّصا المسألة، ثم أصدرا عن اتفاق، تلك نصيحة الرسول ﷺ لأبي موسى ومعاذ»[(٣)].

«والتطاوعُ لا يعني التنازلَ عن الحقِ أو القبولَ بالباطل، أو السكوت عن الأخطاء، لكنه يعني الملاينة واتساعَ الصدرِ للاجتهادات السائغة، وتقديم المصالح العامة على الخاصة، والكبرى على الصغرى، وسعة الأفق في احتواء النزاعات»[(٤)].

◆ رابعاً: أهم أسباب عدم التطاوع الشح والمكابرة:

«إنَّ من الآفات المزمنة التي لا تكاد تخطئها العين: شيوع روح المكابرة والاستعلاء والتعنّت والاعتداد بالرأي، والتهوين من قدر الآخرين علماً أو عملاً،

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/ ٤١.

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ١/ ١١٥ (١٣٩)، والبيهقي في الآداب ص٦٥ (١٦٠)، والبيهقي في الشعب (٨١٢٨)، وقال الألباني: حسن لغيره، انظر: السلسلة الصحيحة رقم (٩٣٦).

(٣) صراعٌ بين الدعوة والدعاة- مشاري بن سعد الشثري- مقال منشور على موقع صيد الفوائد.

(٤) مَعالِمٌ في طريق الائتلاف، مقال منشور في مجلة البيان عدد ٣١١.

وهذه أسباب تعوق التطاوع وتقطع سبيل الملاينة، وتؤكد حاجتنا الماسة لإعادة بناء منظومتنا التربوية والأخلاقية.

ومن أعظم موانع التطاوع أيضاً: شح النفوس، كما قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨].

ولعل هذا من أعظم أسباب إخفاق مشاريع التنسيق والتعاون بين الدعاة والتجمعات الإسلامية؛ فالعلاقة المتينة المستمرة لا تستقيم إلا بالسماحة والتطاوع»[١].

وقد عرَّف الشيخ السعدي الشح بقوله: «هو عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له». ثم ذكر أن السماحة ضد الشح، وهي: «بذل الحق الذي عليك، والاقتناع ببعض الحق الذي لك»، وبيَّن بعد ذلك أنه: «متى وُفّق الإنسان لهذا الخلق الحسن، سهل حينئذ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب، بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنه يعسر عليه الصلح والموافقة، لأنه لا يرضيه إلا جميع ما له، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه. فإن كان خصمه مثله، اشتد الأمر»[٢].

(١) مَعالِمُ في طريق الائتلاف، مقال منشور في مجلة البيان عدد ٣١١ باختصار وتصرف يسير.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٢٠٦.

الفصل الثامن

آفات الدعاة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآفات القلبية:

المطلب الأول: آفة فساد النية.

المطلب الثاني: آفة التحاسد.

المطلب الثالث: آفة التعالي.

المطلب الرابع: آفة سوء الظن.

المطلب الخامس: آفة الإقبال على الدنيا.

المبحث الثاني: الآفات السلوكية:

المطلب الأول: آفة اليأس.

المطلب الثاني: آفة الفتور.

المطلب الثالث: آفة العجلة.

المطلب الرابع: آفة التسويف.

المطلب الخامس: آفة المعاصي.

---

(١) فأما الآفات المنهجية تحولت إلى بحث مشكلات وعوائق الدعوة والدعاة.

تمهيد

«إن توضيح معالم الطريق أمام الدعاة إلى ربهم -كي يُعدِّوا لكل أمر عدته، ويأخذوا لكل شيء أهبته، فلا ينقطعوا، ولا يتوانوا ولا يتأخروا عن ركب النجاة- ضرورة لا مفر منها، ولا محيص عنها، توجبها الدعوة إلى الله من أجل التمكين لدينه في الأرض.

ولعل من أهم هذه المعالم: أن هناك آفات يمكن أن يصاب بها بعض الدعاة -بل قد تصيبهم بالفعل- فتقعد بهم عن أداء دورهم والقيام بواجبهم»[(١)].

فلا شك أن الدعوة طريق شاق وطويل، ومليء بالآفات والمعوقات التي تعترض الداعية، وتعيق سيره في الدعوة إلى الله، والدعاة إلى الله بشر غير معصومين، ويقع من بعضهم الخطأ والغلط والنسيان والسهو والغفلة، وهذه من الآفات التي تصيب البشر، ولكن ينبغي للداعية أن يقللها، ويحذرها، فإن كثرتها تؤدي إلى تشويه رسالة الإسلام، وتعيق مسيرة الدعوة إلى الله.

نعرض لهذه الآفات بشيء من التحليل والبيان كي يحذرها العاملون ويتطهروا منها[(٢)].

مع التنبيه إلى أن الآفات كثيرة جدًّا، ولكن سنعرض هنا لأهمها وأكثرها انتشارا وتأثيرا، فإن الأمراض القلبية، والسلوكيات الخاطئة في التعامل مع الناس كثيرة، وكلها لها ارتباط بالدعوة وآفات الدعاة.

(١) آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح ص١.

(٢) ينظر: كتاب آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، وهو كتاب من أربعة أجزاء، وكتاب عقبات في طريق الدعاة، عبدالله علوان، وسلسلة أمراض على طريق الدعوة، مجموعة من المقالات القيمة منشورة على ملتقى الخطباء، وقد استفدنا منهما كثيراً في إعداد مادة هذا الفصل.

المبحث الأول

الآفات القلبية

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: آفة فساد النية.

المطلب الثاني: آفة التحاسد.

المطلب الثالث: آفة التعالي.

المطلب الرابع: آفة سوء الظن.

المطلب الخامس: آفة الإقبال على الدنيا.

من أشد الآفات التي تصيب الدعاة إلى الله فتؤثر سلباً على الداعية والدعوة في الدنيا والآخرة، الأمراض التي تصيب النفوس والأرواح والقلوب والعزائم والإرادات، وهي أشد فتكاً وأعظم خطراً من الأمراض البدنية، فأمراض البدن تظهر أعراضها ويشعر المريض بآلامها، أما أمراض القلوب فتنمو وتستفحل يوماً بعد يوم وصاحبها لا يشعر بها ولا يعاني من آلامها.

لذلك وجب على الدعاة إلى الله التعرف على آفات القلوب، والوقوف على أسباب تلك الآفات ومعرفة دواعيها ومظاهرها وتداعياتها وآثارها على الدعوة والداعية والمجتمع بأسره، واعتبار ذلك من أولويات العمل الدعوي.

فعلى الداعية أن يراقب قلبه، ويراقب تصرفاته، ويحاسب نفسه، ويزيل آثار هذه الآفات أولا بأول، قبل أن يستفحل الداءُ في الجسد الدعوي على مستوى الفرد أو على مستوى المؤسسة والفريق.

ولا يظن الداعية أنه ليس من أصحاب تلك الآفات، ولا أنه معَرَّضٌ لهذه الأمراض، ورسول الله ﷺ -إمام الدعاة- كان يسأل الله ثبات قلبه في سجوده فيقول: **(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: **(كل مخموم القلب، صدوق اللسان)**، قالوا: صدوق اللسان، نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: **(هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد)**[2].

ومن هنا يأتي الحديث عن خمسٍ من الآفات القلبية، محاولة للوقاية منها وعلاجها، والتنبيه عليها وعلى خطرها، وعلى ما يتبعها من آفات أخرى.

وذلك من خلال المطالب التالية:

---

(١) مسند أحمد ١٩/ ١٦٠ (١٢١٠٧)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى (٤٢٢٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٩١).

المطلب الأول
آفة فساد النية

وبيان هذه الآفة وكيفية التغلب عليها في النقاط التالية[١]:

❑ أولاً: خطر فساد النية في العمل عموماً:

إن فساد النية مخالف لأصل الدين والدعوة إليه، فالدين هو التعبد لله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ففساد النية مخالف للإخلاص، وإذا وقع الداعية في مخالفة الإخلاص فسد عمله، وأصبح لا قيمة له في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

فالحذر الحذر من دخول الرياء على العمل فما دخل الرياء عملاً إلا أفسده، وحرم صاحبه التوفيق والأجر والمثوبة، بل نال العقاب والخزي يوم القيامة.

❑ ثانياً: خطر فساد النية على الدعاة إلى الله خاصة:

إن فساد النية داء وبيل لا يسلم منه إلا من عصمه الله، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة -إلى أن قال- ورجلٌ تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتِيَ به فعرَّفه نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته

---

(١) بعض أفكار هذه الآفة من مقال بعنوان: الإخلاص في الدعوة: أهميته، ما يعين عليه، ما ينافيه، وآثاره على الداعية، د. خالد المسقري، منشور على موقع طريق الإسلام، وللاستزادة ينظر: كتاب الإخلاص في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء القرآن والسنة النبوية، د. رائد محمد العبيدي.

وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار..)[١].

ويمكن إجمال خطر فساد النية على الدعوة في النقاط التالية:

١- يُذهب بركة الدعوة وثمرتها وقيمتها.

٢- التكاسل والفتور في القيام بواجب الدعوة.

٣- الحرص على كسب رضا المدعوين على حساب الدعوة.

٤- عدم إبداء النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضعها.

٥- عدم الثبات في مواجهة الضغوط والمحن والشدائد في طريق الدعوة.

٦- التطلع إلى الريادة والصدارة والرئاسة، والحرص على إصدار الفتوى، وعلى تَصَدُّرِ المجالس، وإيراد أقوال العلماء تعالماً و تظاهراً بالعلم.

٧- عدم محبة النجاح للدعاة بغياً وحسداً، وضعف التعاون معهم، والفرح والتشهير بأخطائهم.

٨- عدم السعي في استكمال صفات الداعية، والجوانب اللازمة من قضايا العلم.

٩- مخالفة القول العمل في الخير والدعوة إليه.

١٠- دفع الرأي أو الفكرة أو الدفاع عنهما؛ دفاعاً عن النفس.

١١- التعصب للأشخاص والمذاهب.

١٢- الاختلاف والافتراق.

١٣- حب الدنيا والسقوط في فتنتها.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار(١٩٠٥).

ثالثاً: علامات ومظاهر فساد النية:

وفساد النية عند الدعاة له صور كثيرة يجمعها حب الشهرة والتصدر، وتحويل الدعوة وسيلة لجلب المال، ومن علامات ذلك:

١- أن يميل إلى الأعمال التي تُشْهِر اسمه، وتُظْهِر شخصيته، وينفر من الأعمال التي تغمر هويته.

٢- حب المخالفة والاعتراضات لكونها طريقاً سهلاً للشهرة وذياع الصيت.

٣- حب نسبة الأعمال إليه، أو ما يسمى بالسرقة الأدبية والفكرية، وسرقة الأعمال.

٤- التطلع إلى حيازة أماكن الصدارة، ويحارب من يحاول مشاركته إياها.

٥- يحب أن يمشي الناس خلفه، ويعجب بالتفاف الطلاب والأتباع حوله.

٦- أن يجد الداعية ميلاً للأشخاص الذين يتملقون له ويمتدحونه، وينفر من سواهم ممن يدلونه على أخطائه أو ينصحونه.

٧- أن يسعى في أعمال الدعوة التي يجنى من وراءها مالاً، ويتكاسل عن غيرها.

٨- جعل الدعوة وسيلة لشهوات دنيوية أخرى كالتقرب إلى شيخ أو إمام، للحصول على منفعة دنيوية لديه. ونحو ذلك.

رابعاً: كيف يختبر الدعاة نياتهم:

لكي يعرف الداعية فساد نيته في عمل دعوي معين، ينظر إلى الباعث الذي بعثه للعمل، ويراجع نفسه في الغرض الذي نشطه لهذا العمل من بداية الطريق، فإن غالطته نفسه في ذلك وأبت إلا ادعاء الإخلاص: **فليتصور عدم تيسر العمل،** فأول شيء يحز في نفسه فقده الباعث الذي بعثه للعمل، فإن تألمت نفسه لفقد الأجر والمثوبة فتلك نيته،

وإن تألمت لفقد شيءٍ آخر؛ فهو نيته.

أو يتصور قيام غيره بالعمل -ممن هو كفؤ له- بنفس الكيفية ونفس النتيجة، فإن لم يغير ذلك في نفسه شيئاً فهو مخلص، وإن تعكر مزاجه لاقتران العمل باسم غيره، فليراجع إخلاصه.

وإذا كان العمل ينشر إلى الناس باسم صاحبه، فليتصور نسبة العمل لغيره، فإن عز في نفسه تجاهل اسمه فليعد النظر في نيته.

❑ خامساً: علاج فساد النية عند الدعاة:

وعلاج فساد النية يكون بالإخلاص، وذلك من خلال العوامل التالية[1]:

١- تيقن الداعية تيقنا كاملاً: أن الناس لا يملكون لأنفسهم جلب نفعٍ ولا دفع ضُرٍّ، فهم من باب أولى لا يملكون ذلك لغيرهم.

٢- الزهد في الدنيا، ومعرفة حقيقتها، وقيمة لذائذها وحظوظها.

٣- الحرص على الأعمال الخفية حتى تتعود النفس على تجريد القصد لله، ثم يبدأ في الأعمال الظاهرة ونفسه قد تشربت، ولا ينبغي له أن يقفز مباشرة إلى الأعمال الجلية، فإن اشتاقت نفسه إلى الأعمال التي ينتشر صيت صاحبها بين الناس فليتهم قصده.

٤- تدبر آيات النعيم، وما أعده الله لأوليائه، حتى تتشوق النفس لذلك، فتنحصر الهمة في طلبه.

٥- الاطلاع على سيرة المصطفى ﷺ، وسير السلف الصالح، ليأخذ منهم الحرص على الإخلاص.

---

(١) تحدث الشيخ د. سعيد بن وهف القحطاني في مقومات الداعية وفي الحكمة في الدعوة إلى الله عن هذا الأمر وذكر فيها ١٥ وسيلة في دفع الرياء وتقوية الإخلاص.. يمكن الرجوع لها.

٦- استشعار رقابة الله تعالى، واطلاعه عليه في كل لحظة، ومعرفته بجميع حركاته وسكناته.

٧- اليأس مما في أيدي الناس، قال ابن القيم: «لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار، والضب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص، فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأْس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص»(١).

المطلب الثاني

آفة التحاسد بين الدعاة

من الآفات الخطيرة على الدعاة: آفة التحاسد، فإن لها أثرها السيء على الدعوة والمجتمع الدعوي، والدعاة أنفسهم، ونبرز هذا الأمر في النقاط التالية(٢):

◈ أولاً: مفهوم التحاسد بين الدعاة:

الحسد هو: أن يرى الرجل لأخيه نعمةً فيتمنى أن تزول عنه وتكون لهُ دونه(٣).

(١) الفوائد لابن القيم ١/ ١٤٩.

(٢) ينظر: أبعاد الحسد على العمل الإسلامي، عبد الله بن سعيد آل يعن الله، مقال منشور على موقع صيد الفوائد، ومقال بعنوان: تحاسد الدعاة، منشور على موقع تيار الإصلاح، والتحاسد بين العلماء مسعد سالم، مقال منشور على موقع الألوكة، الحسد: أسبابه وأضراره وعلاجه، السيد طه أحمد.

(٣) النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٨٣.

والفرق بين الحسد والتنافس:

قال ابن القيم عن بعضها: «الفرق بين المنافسة والحسد:

أن المنافسة: هي المبادرة إلى الكمال الذي تشاهده من غيرك، فتنافسه فيه حتى تلحقه أو تجاوزه؛ فهي من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر، وأصلها من الشيء النفيس الذي تتعلق به النفوس طلبا ورغبة، فَتُنَافِسُ فيه كل من النفسين الأخرى، وربما فرحت إذا شَارَكَتْهَا فيه، كما كان أصحاب رسول الله يتنافسون في الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه، بل يَحُض بعضهم بعضا عليه مع تنافسهم فيه، وهي نوع من المسابقة..

والحسد خُلُقُ نفسٍ ذميمةٍ وضيعةٍ ساقطةٍ ليس فيها حرص على الخير، فَلِعَجْزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها، وتتمنى أنْ لَوْ فَاتَهُ كَسْبُهَا حتى يساويها في العدم، فالحسود عدو النعمة مُتَمَنٍّ زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو؛ والمنافس مسابق النعمة مُتَمَنٍّ تمامها عليه وعلى من ينافسه.

وقد يطلق اسم الحسد على المنافسة المحمودة، كما في الصحيح عن النبي: (**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**)[١]، فهذا حسد منافسة وغبطة، يدل على علو همة صاحبه، وكبر نفسه، وطلبها للتشبه بأهل الفضل»[٢].

◈ ثانياً: خطورة التحاسد عامة:

التحاسد هو أول ذنب عُصِي الله به؛ إذ حسد إبليسُ آدمَ، وكان سبب أول جريمةٍ

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة (٨٠) ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب من يقوم بالقرآن ويعلمه (٨١٦).

(٢) الروح لابن القيم ص٢٥٢.

في الدنيا الحسد؛ إذ حسد أحد ابني آدم أخاه فقتله.

وذكر الله أن الحسد من صفات الكفار، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة ١٠٩].

وذمهم فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤].

وقد ذم النبي ﷺ الحسد والحاسد فقال: (..ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد)[(١)]، وقال: (لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا)[(٢)].

قال الماوردي: «اعلم أن الحسد خلق ذميم، مع أضراره بالبدن، وإفساد للدين حتى لقد أمر الله بالاستعاذة منه، فقال: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٥]، وناهيك بحال ذلك شرًّا، ولو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خلق دنيء، يتوجه نحو الأكفاء والأقارب، ويختص بالمخالط والصاحب، وهو كذلك بالنفس مضر، وعلى الهمِّ مصرٌّ، حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكاية بعدو ولا إضرارٍ بمحسود»[(٣)].

«فالحسد من الرذائل الخلقية ذات النتائج النفسية والاجتماعية السيئة جدًّا على الأفراد والجماعات، وعلَّة هذا الداء ترجع إلى إفراط في الأنانية وحُبِّ الذات، مع ضعف في الإيمان بكمال حكمة الله تعالى في توزيعه الأرزاق بين عباده»[(٤)].

فمن أضرار الحسد «إسخاط الله تعالى في معارضته، إذ ليس يرى قضاء الله

---

(١) سنن النسائي في السنن كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه (٢٩١٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٢٠).

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٨/ ٣٠٩، رقم (٨١٥٧). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٧٨: رجاله ثقات. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٣٨٦).

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي ٢٦٠-٢٦١.

(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/ ٧٨٩ بتصرف.

عدلاً ولا لنعمه من الناس أهلاً، حسرات النفس وسقام الجسد، وانخفاض المنزلة، وانحطاط المرتبة، مقت الناس، وعداوتهم، ويجلب النقم ويزيل النعم، ومنبع الشرور العظيمة ومفتاح العواقب الوخيمة، ويورث الحقد والضغينة في القلب، وهو معول هدم في المجتمع، ودليل على سفول الخلق ودناءة النفس»(١).

«وقد يغلب الحسد صبر الحاسد وأناته، فيحمله على إيصال الأذى للمحسود؛ بإتلاف أسباب نعمته أو إهلاكها رأساً، وقد كان الحسد أول أسباب الجنايات في الدنيا، إذ حسد أحد ابني آدم أخاه على أن قُبِل قربانه ولم يقبل من الآخر، كما قصه الله تعالى في سورة المائدة»(٢).

◈ ثالثاً: خطر الحسد بين الدعاة:

وإذا كان الحسد من الأمور المنهي عنها في الدين لخطره على الفرد والمجتمع، وبالإضافة إلى ما سبق من أضرار، فهو بين الدعاة إلى الله أشد، وقد اشتهر أمره، وجرت به أقلام المؤرخين، حتى قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هلاك العلماء بحسدهم»(٣).

وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء، إلا قول بعضهم في بعض، فإنهم أشد تحاسداً من التيوس»(٤).

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلام الأقران لا يُعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عصمه الله، وما علمت أن عصراً من العصور سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس»(٥).

---

(١) نضرة النعيم ١٠/ ٤٤٢٩.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٢٨.

(٣) محاضرات الأدباء ١/ ٦٥.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٠٩١.

(٥) ميزان الاعتدال ١/ ١١.